منزلة الكرام البررة المكرمين اهل البر
في حقهم اي في القيام في حق العباد وهو ان يسعى في تحصيل اغراضهم
من الملائكة كجبريل واسرافيل وميكائيل فان من سعى في تحصيل غرض غيره رفق به
اي مقاصد العباد رفقا بهم وادخالا للسرور على قلوبهم فانه بالسعي المذكور
ورفع الكل عن مباشرة جوارحه رفق بالجوارح وسرور للقلوب وتوابعها
يحصل للقلوب عليها ادخال السرور وتغنيه بذكر الرفق للاغراء على فضل ادخال السرور
وهو رفقها ايضا وانما لم يكتف … كما اسلفناه الثانية
وقد وردت اخبار وآثار ان تنزل منزلة البهائم والجمادات في حقهم اي في حق
من الدرجات بل بقوله فلا يبلغهم اي سائر العباد
سائر العباد نبه على هذا التنزيل فان البهائم والجمادات لا خير يبتلونه العباد لعدم
خيرهم ولكن يكف عنهم شره فان البهائم … بل بعض العباد قد يمس البهائم
قدرتهم على ايالته وشرهما معكوف عن العباد … والجمادات في الحيثية المذكورة
منه شر فلا اقل ان يكون العبد بمنزلة البهائم عن سلب الشر عن الجماد انه يتصور منه حتى
وهي كفاية الشر ونحوها ولا يلزم … ان تنزل في حقهم اي في حق سائر فلا أقل
يتقي الثالثة من الدرجات اي الضاريات
العباد منزلة العقارب والحيات والسباع الضاريات لا يرجى خيره ويتقى شره فان
من حيث انه اذا انزل منزلة المذكورات لا نفع شرعا نحو الحية والسبع الضاري
كلام نحو الحيات والسباع كذلك بل لا نفع … فان لم تقدر بالتخلق
وغيرهما لا يصح بيعه وان كان فيه النفع بالخاصية
او التعلق ان تلحق بافق الملائكة اي تنزل منزلتهم في الحيثية السابقة
ولعلو شانهم ناسب التعبير بالافق فاحذر ان تنزل عن درجات
البهائم والجمادات التي لا تنيل خيرا ولكن تكف عن الشر ومراتب العقارب
والحيات وفي نسخ والسباع الضاريات فان النزول عن هذه الدرجات
نزول اي نزول ولهذا قال فان رضيت لنفسك النزول عن اعلى
عليين وهي الدرجة … منزلة الملائكة الكرام البررة وما احسن وصف الدرجة
المصنف رحمه الله تعالى لهم هذه الدرجة باعلى عليين كانها احد درجات
الجنة او على مذهب اهل السنة ان جنس البشر افضل من جنس الملائكة
وخواص البشر افضل من خواص الملائكة فاذا كان التخلق باخلاق الملائكة والتنزل
منزلتهم وهذه المنزلة العلية المعبر عنها باعلى عليين فما بالك بمن تخلق
باخلاق الهية والاخلاق المحمدية خواص البشر كالنبيين واخلاق الله
تعالى كالرحمة المحضة فيعلا الى التخلق بالاخلاق الالهية والاخلاق المحمدية
الاعلى فالاعلى حسب الطاقة البشرية فلا ترض بالهوى بالعم اي السقوط
الى اسفل السافلين الذي كانه الدرك الاسفل من النار فلعلك اذا …
الدرجة الثانية ان تجو كفافا بمعنى لا لك ولا عليك

جزءا

جزءا بكفاية عن الشر يحس ان يرجى له الكفاف المذكور فيقال لعلك الى اخره
وبين هذا الكفاف مناسبة بين الدرجة الاولى درجة السالم السابقة
في كلامه وقد نقل بعض اكابر اهل الطريق من الاعاجم انه كان يصوم النهار نعقد
ويقوم الليل فاذا طلع الفجر يبسط يديه متضرعا قائلا يا الله يا رب يا رب بمعنى
سوى سوى اي لا لي ولا علي فعليك بمعنى يتاكد عليك في بياض نهارك اي جميعه
او في صحته لان الخير اذا كان فيها عاد على البقية واضاف البياض اليه
لاشارة قوله تعالى والنهار مبصرا لا تشتغل الا بما ينفعك في معادك
مرحمك يوم القيمة وقدم المعاد لان المعول عليه بل الثاني وسيلة اليه و
من ثم قال او معاشك الذي لا يستغنى عن الاستعانة على معادك وواضح
على هذا الثاني ان المراد ما عدا الاشتغال بالواجب فان عجزت ايها العبد
عن القيام بحق دينك الذي سبق انه مبني على ثلاث درجات مع مخالطة
الناس وكنت لا تسلم الا بالعزلة عن مخالطتهم فالعزلة اولى اي احرى لك
لانها حينئذ واجبة ان تحققت عدم السلامة او مندوبة ان ظننته او توهمته
على احتمال في مسألة التوهم ولعل المصنف اشار الى شق الندب فعبر باولى لان
سبب الوجوب نادر فاولى بمعنى احق وافضل فعليك بها اي الزمها ففيها
السلامة من الآفات والموبقات لا سيما ان اشتغلت فيها بالتصنيفات
الدينية ان وجدت فيك اهليته وضابطها بينه النووي وغيره واشرت
اليه والى ثمراته وفوائده في ديباجة شرحي على الجامع الصغير الحديثي فان
كانت الوساوس الشيطانية الحاصلة في العزلة تجاذبك اي تنازعك و
تجرك الى ما لا يرضي الله وفي نسخة لا يرضاه الله تعالى فلم تقدر بمعنى تقوى
على قمعها بوظائف العبادات فان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
بخاصيته تنفي الخواطر والاغيار وحسبك قوله تعالى ولذكر الله اكبر
اي فيها فان فرض انها لا تنقمع بذلك اشيا من باب فرض المحال وقد شرط
صحة الوظائف ومنه حديث من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد
من الله الا بعدا فعليك بالنوم المباح اصالة ويمكن جعله سنة بنية التقوى
على العبادة وكذلك قال في الاحيا النوم على قصد طلب السلامة ونية
قيام الليل قربة وقال قبله لا باس ان يعد من الاوراد ثم قال عن
بعضهم يأتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه افضل اعمالهم فهو في
حالة تلبسك به احسن احوالك ايها المخاطب واحوالنا معشر امثالك
واراد المصنف نفسه هضما وتواضعا ومع هذه الارادة لا يقال كان الاولى
واحوالي على انه يمكن ان يريد واحوالنا معشر اهل الزمن وعلل ذلك بقوله
اذا التي هي بمعنى اللام التعليلية اي لانا عجزنا عن الغنيمة رضينا بالسلامة
في الهزيمة وما احسن هذه الجملة الشهيرة ان الجاذبية والمنازعة مع هذه

اذا التي للتعليل

Copyright © King Saud University